تصدر عن معهد المعارف الحكمية
(للدراسات الدينية والفلسفية)

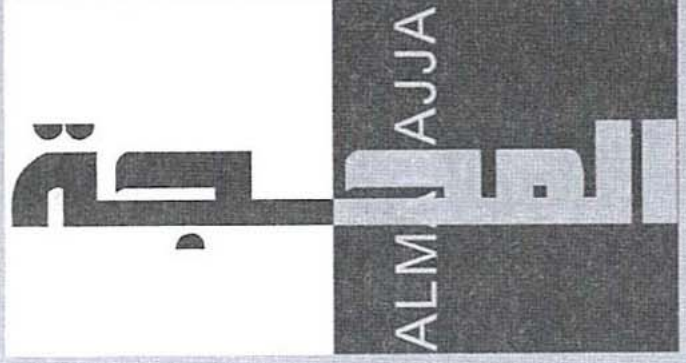

العدد الثامن عشـــر - ٢٠٠٩ - ١٤٣٠ هـ .
مجلـة تعنـى بشؤون الفكر الديني والفلسفة الإسلامية
تصـدر طبقـاً للقـرار رقـم ٢٠٣

رئيـس التحريـر
شفيـق جـرادي
مديـر التحريـر
محمـد زراقـط
المديـر المسـؤول
بـدري معاويـة
هيئـة التحريـر
أحمـد ماجـد
حبيـب فيـاض
سميـر خيـر الديـن
طـارق عسيـلي
Fadel Graphic
تصميـم الغـلاف: Idea Creation

سعر العدد: لبنان: ٥٠٠٠ ل.ل - عمان: ٤ ريالات - سوريا: ١٠٠ ل.س - مصر: ٥ جنيهات - الأردن: ٢ دينارات - اليمن: ٢٢٥ ريالاً - قطر: ٢٠ ريالاً
السعودية: ٢٥ ريالاً - الكويت: ٢ دينار - الإمارات العربية: ٢٠ درهماً - البحرين: ١,٥ دينار - المغرب: ٢٥ درهماً - دول الاتحاد الأوروبي: ٥ يورو
سويسرا: ١٠ فرنكات - بريطانيا: ٤,٥ جنيه - أميركا: ٨ دولارات - كندا: ١٠ دولارات - استراليا: ١٠ دولارات - الدول الأوروبية الأخرى: ٨ دولارات
الاشتراك السنوي: لبنان وسوريا: ٢٠ دولاراً - أوروبا وأميركا وسائر الدول: ٤٠ دولاراً - باقي الأقطار العربية: ٣٠ دولاراً - المؤسسات الرسمية والخاصة: ٦٠ دولاراً

ترسل الاشتراكات والمراسلات
باسم رئيس التحرير على:
العنوان التالي: **معهـد المعـارف الحكمـية**
(للدراسات الدينية والفلسفية)
لبنان - بيروت - حارة حريك
الشارع العريض - سنتر صولي - ط٢
أو على رقم الحساب: بنك عودة ٥٩١٢٩٩٤٦١٠٠٢٠٦٤٠١
أسعار الإعلانات: غلاف خارجي: ١٥٠٠ دولار
غلاف داخلي: ٨٠٠ دولار - صفحة داخلية: ٤٠٠ دولار
E-mail: almahajah@shurouk.org

قطب رحى الوجود؟!

الإنسان في الرؤية الإنسانويّة إبّان عصر النهضة

السيد محمود نبويان[1]

تعريب: محمد حسن زراقط

مدخل:

الإنسانوية من العلامات الفارقة التي طبعت رؤية الحداثة إلى العالم، إلا أن ذلك لا يعني أن سائر المذاهب تحط من قيمة الإنسان، بل هو كائن محترم في أكثر المذاهب الفكرية والأديان السماوية؛ حيث تعطي للإنسان مكانة مرموقة بين سائر موجودات العالم. ومن الأديان التي تحترم الإنسان نشير إلى الإسلام حيث ورد في القرآن الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾[2]

مقالة منشورة في مجلة رواق أنديشه (رواق الفكر) العدد ١٥، عام ١٣٨١هـ. ش.

قطب رحى الوجود؟!

الإنسان في الرؤية الإنسانويّة إبّان عصر النهضة

أضف إلى ذلك أنّ الله لم يعقب بتحسين فعله في مورد من القرآن كما عقب ووصف نفسه بأحسن الخالقين بعد الحديث عن كيفية خلق الإنسان ومراحله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٣] وعلى ضوء ذلك يبدو السؤال عن المراد من محورية الإنسان في الحداثة مشروعاً ومبرراً، فما المقصود من كون الإنسان هو المحور في الرؤية الكونية الحديثة التي لا ترجع في تاريخها إلى أكثر من خمسمائة سنة؟[٤]

وسوف نسعى لتقديم جواب عن السؤال المذكور أعلاه، ونشرع في تحليل الأفكار من تعريف الإنسانوية، ونشرح بعد ذلك موقف الإسلام من الإنسان، ونختم أخيرا بالمقارنة بين الإسلام والحداثة والمذاهب الفكرية التي نبتت في فضائها.

الإنسانوية (هيومانيسم)[٥]

لا بأس من الدخول إلى معالجة الموضوع من باب التعريف اللغوي، مشفوعاً بعد ذلك بذكر المعنى الاصطلاحي، بما له من الدلالة في العلوم والمعارف المرتبطة.

المعنى اللغوي:

مصطلح «إنسانوية» ترجمة لكلمة (Humanism) في اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات اللاتينية، وتذكر كتب اللغة لهذا المصطلح معاني عدة منها:

١- الطبيعة والماهيّة الإنسانيّة

٢- التخصّص العلمي والبحث حول العلوم الإنسانيّة[٦]

٣- عندما تستعمل هذه الكلمة مع الحرف الكبير (H) يقصد بها الحركة الفكرية والعلمية التي حصلت في الغرب إبان ما يعرف بعصر النهضة حيث ظهرت الرغبة الشديدة في الرجوع إلى التراث اليوناني والروماني.

٤- طريقة خاصة أو حالة من الفكر أو العمل تتركز حول بعض المثاليات الإنسانية.[٧]

٥- منهج فكري يؤمن بأولوية الإنسان وتفوقه على سائر المفاهيم الميتافيزيقية أو الانتزاعية.[٨]

٦- نظام من المعتقدات أو المعايير المتعلقة بالحاجات الإنسانية، دون أن يكون لها صلة بالفكر الديني.[٩]

٧- الاعتقاد بإمكان حصول الإنسان على السعادة والرضا دون أن يكون مؤمناً بدين من الأديان.[١٠]

٨- كلمة (Humanism) مشتقة من الكلمة اللاتينية (Humus) التي تدل على التراب أو الأرض، وقد كانت تستعمل أولاً في مقابل أحد معنيين، هما:

أ- الموجودات الأرضية غير الإنسان كالحيوانات مثلا.

ب- مرتبة من الوجود؛ أي المجردات، وكان يستعمل هذا المصطلح في هذا المعنى في أوائل القرون الوسطى. وقد كان يميز الباحثون والكنسيون بين المجالات المعرفية المستفادة من الكتاب المقدس (divinitas)، وبين ما يتعلق بالحياة الدنيوية للإنسان (humanitas)، ولما كان القسم الأهم من المعارف الإنسانية قد استفيد من اليونان والرومان كان يستخدم لفظ (umanisti أو humanists) للدلالة على المشتغلين بهذه العلوم والمعارف بالنظر إلى كونهم من الإيطاليين.[١١]

المعنى الاصطلاحي:

ما تقدم يرتبط بالأصول اللغوية لكلمة (Humanism)، وأما حول المعنى الاصطلاحي للكلمة فإنها تستعمل عادة في معان ثلاثة، هي:

المعنى الأول:

يرتبط المعنى الاصطلاحي الأول بالمرحلة اليونانية القديمة وعصر النهضة. ويبدو من النظر في تاريخ الفلسفة الغربية في العصر اليوناني أن الإنسان كان محور الاهتمام. ويمكن إرجاع ذلك إلى عاملين اثنين:

أ- العامل المعرفي:

تمثل الأفكار الإيليائية باباً تسرب منه الشك إلى المعرفة الإنسانية؛ حيث إن الإيليائيين

يظهـرون عـدم ثقتهم بالمدركات الحسيـة نتيجة الأخطاء التي يقع فيهـا الحس، ومن جهة أخـرى تضارب المفكريـن والفلاسفة في نظرياتهم وتصوراتهم حـول الوجود والعالم، وقد أدى ذلـك كلـه إلى الشك وعدم الاطمئنان بالمعرفة الإنسانيـة. ومن ذلك إنكار بارمنيدس الصـيرورة والحركة في العالم، واعتقاد هراقليطس بأن العالم مملوء حركة، وقد أدى هذا التناقض إلى شك في وجود الحقيقة والشك في إمكان التعرف عليها.[١٢]

وعلى هذا الأساس، هز الشك أركان المعرفة الإنسانية بأسرها، وذلك أن طريقيّ المعرفة الوحيديـن همـا العقل والحس، وكل منهما يقع في ما لا حصر لـه من الأخطاء، وبالتالي لا يمكـن الاطمئنـان إلى ما يكشـف عنه، والنتيجـة الطبيعية لهذه النظرة هـي الشك في كل معرفة.[١٣]

وينسب السوفسطائيون أنفسهم إلى الشكاكين لأسباب عملية،[١٤] ويؤمن هؤلاء بأنه ما دامت وسائل الإدراك البشري غير مأمونة ولا معصومة من الوقوع في الخطأ، فإن الإنسان لا يملـك أي ضمانـة لصحة معارفـه ولتصوارته عـن الحقيقة وتطوّر هـذا الموقف السلبي المشـكك إلى موقـف يرى أن الإنسان نفسه هو المعيار وليس وراءه أي حقيقة ليبحث عنها أو يسعى للقبض عليها، فهو الحقيقة الوحيدة وهو الذي يخلقها.

وما زال شعار بروتاغوراس يدوي في أروقة الفلسفة حيث يقول: «الإنسان هو مقياس كل شـيء، مقياس وجود الأشياء الموجودة، ومقياس عدم الأشيـاء المعدومة».[١٥] وهكذا تسنم الإنسان عند بروتاغوراس سدة المعرفة وصار هو المحور للوجود بحيث هو الذي يضفي على الأشياء وجودها وهو الذي يضفي عليها عدمها.

ويضـاف إلى ذلك أن السوفسطائيين كانوا يتمتعون بقدرات فائقة في الكلام والمرافعة، وقـد سمح لهم ذلك بالخوض في مسائل عدة فلسفية وقانونية، حيـث كانت المهنة الأثيرة لديهم هي الدفاع والمرافعة بالنيابة عن أصحاب الدعاوى لدى المحاكم، ومن هنا برعوا في تحوير القضايا التي يرافعون عنها وتحويلها لصالح موكليهم.[١٦]

ويبدو أنهم استساغوا طعـم الانتصار في الحروب القانونية التي خاضوها في المحاكم، وصعب عليهم الاعتراف بوجود حقائق منفصلة عن الإنسان الذي هو هم. وقد كانت العلوم اللغويـة وفنون البيان من العلوم المهمة التـي تخدم أغراض السوفسطائيين، ونتج عن ذلك الاهتمـام تطور هذه العلـوم ونموها، وأما الفلاسفة والمتخصصـون بالعلوم التجريبية فلم

يولوا هذه العلوم أهمية تذكر.[١٧]

ب- العامل الاجتماعي

لقد أدى ظهور الدولة المدنيّة في اليونان، إلى الإحساس بضرورة تربية وتدريب بعض الأفراد على فنون إدارة هذه الدول. ولم يكن في الميدان من يملك الاستعداد الكافي للقيام بأعباء هذه المهمة غير السوفسطائيين، وهكذا تولوا هم هذه المهمة وبالتالي صار الإنسان محور اهتمامهم وقطب رحى عنايتهم، وصار شغلهم الشاغل البحث حول الإنسان وطباعه وكيفية ضبط سلوكه وتعامله مع أقرانه وأبناء نوعه، وما شابه من الأبحاث التي تدور حول الإنسان.

إذا، تبدل محل الاهتمام العلمي من البحث النظري حول الكون والوجود إلى البحث العملي حول الإنسان وطرائق تربيته وتعليمه. وهكذا كانت الحقبة اليونانية هي حقبة الاهتمام بالإنسان والسهر على تحسين ظروف عيشه في هذه الدنيا وبحث كيفية إشباع حاجاته الأساسية.[١٨]

وبعد زوال الكيانات السياسية اليونانية واضمحلال الحضارة اليونانية، ورث الرومان الفكر اليوناني وسعوا لتطوير ما ورثوه من فكر وثقافة واستخدامه لإحداث تحول في ثقافتهم وفنهم وأدبهم. إلا أن ظهور المسيحية وانتشارها في أوساط الرومان أعطى الأوضاع وجهة مختلفة عما كانوا يخططون له.[١٩]

وكان الاختلاف في النظرة إلى الإنسان عميقا بين الطرفين؛ حيث كانت تقضي تعاليم بولس وغيره من الرسل، بأن الإنسان في حد ذاته فاسد، لا يقدر على التخلص من الشر المتأصل فيه نتيجة الخطيئة الأولى. وقد دبرت العناية الإلهية وقضت بأن يرسل الله ابنه المجسد على هيئة الإنسان ليفديه ويخلصه من تبعات الخطيئة الأصلية، وكل ذلك سببه اللطف والرحمة والتدبير الإلهي، وتبعاً لهذا المعتقد أخذ المسيح لقب الفادي، لافتدائه الناس بالموت على الصليب.[٢٠]

والفرق بين هذه النظرة المتشائمة إلى الإنسان والنظرة الموروثة عن اليونان شاسع لا يحتاج إلى توضيح، ومثل هذه النظرة إلى الإنسان لا تتركه في منزلة يستحق عليها أن يكون موضوعاً للبحث والدرس؛ ولذلك نرى أن الإنسان الذي كان محور البحث في العصر اليوناني وبعدهم عند الرومان أنزل عن عرش الاهتمام وحل محله غيره في القرون الوسطى، وتحول

محـور الاهتمام إلى البحـث حول الله، بل صارت الفلسفة خادمـة للبحث اللاهوتي. وعلى ضـوء ذلك يصبح من الطبيعي أن يعود الإنسان إلى لائحـة الأولويات بعد ضعف المسيحية في عصر النهضة.

وقد سعـى علماء عصر النهضة وروادها للقضاء على تعاليم القرون الوسطى وثقافتها وصوبـوا علـى المسيحية أيضاً، ودعـوا إلى العودة إلى إحياء الثقافـة الكلاسيكية القديمة، وتحـول الناس جميعـاً الشاعر منهم والكاتب والخطيب والباحـث والإنسان العادي تحولوا جميعاً إلى إنسانويين، ومن هنا ينظر إلى عصر النهضة بوصفه عصر الولادة الثانية للثقافة والآداب القديمـة.[٢١] وبعبـارة أخرى يمكن القـول إن السمة البـارزة في الفكر الإنسانوي لعصر النهضة هي التعلق الشديد والحب الزائد لكل ما له صلة بالعصر اليوناني.[٢٢]

وبنـاء علـى ذلك كله تحـول الإنسان إلى محـور البحث والتفكير في عصـر النهضة في المجالات الثقافية المختلفـة، (الأدب، والشعر، والتاريخ، واللغة)، هكذا تتضح حدود المعنى الاصطلاحـي الأول لكلمـة إنسانوية، أي سيطرة الإنسان والقيـم الإنسانية على الدراسات النظريـة والعمليـة، وهي السمـة المشتركة بين عصـر النهضة وما فيه من علـوم والعصر اليوناني وما فيه أيضاً.

٢- المعنى الاصطلاحي الثاني

مضافاً إلى المعنى المشار إليه أعلاه أي الاهتمام بالإنسان وجعله محور الاهتمام في الفكر والثقافة وبخاصة علـى صعيد الأدب، هناك معنى اصطلاحي ثان لهذه الكلمة بدأ بالرواج انطلاقـاً من القرن الثامن عشـر الميلادي، وهو المراد من كلمـة إنسانوية (humanism) عندما تستعمل في الرؤية الكونية المعاصرة والعالم الراهن.

وبكلمـة موجـزة، الإنسانويـة الحديثة هـي: نظام فكـري منسجم ومحدد، لـه دعاواه الأنطولوجية والمعرفية، والأنثربولوجية، والأخلاقية والسياسية، والتعليمية.[٢٣]

وعلـى ضوء التعريـف المتقـدم، الإنسانوية الحديثة هـي تيار فكري ونظـام فلسفي له وجهـات نظـره الخاصة في صعد عـدة، ولتتضح معالم هذا التيار لا بد مـن النظر إليه من الزوايا والأبعاد الآتية:

أ- النظرة إلى الإنسان (الإناسية)

أكثر الأشياء والأمور أصالة في الإنسانوية هو الإنسان، بحيث إن كل الأفكار النظرية والعملية المطروحة في فضاءات هذا الاتجاه تدور حول محور أساس هو الإنسان. بل لا يرى أصحاب هذه النزعة أن لا وجود لشيء هو أكثر كمالاً وشرفاً من الإنسان؛ ولذلك يجب أن تكون جميع الموجودات بخدمة كل منها بحسبه، وأما الإنسان فليس مسخراً لخدمة أي شيء من موجودات هذا العالم.[٢٤]

وقد اكتسب الاتجاه الإنسانوي بعده الفلسفي إثر الجهود التي بذلها رينه ديكارت (١٦٥٠- ١٥٩٦)، الذي يوصف بأنه أب الفلسفة الحديثة؛[٢٥] حيث أعطت أفكاره للإنسان موقعاً مهماً لم يعرفه في الفكر الغربي من قبل. فقبل ديكارت كان الوجود المطلق هو وجود الله، وأما سائر الموجودات فوجودها تابع لوجوده وهي مفاضة منه، بل حتى المعرفة الإنسانية كانت تفسر بالإلهام الإلهي للإنسان والمعرفة الملهمة هي المعرفة اليقينية الوحيدة. وبانحسار القرون الوسطى بدأ الشك يسري في ثنايا المعتقدات المسيحية، حتى وصل الأمر إلى الشك في وجود الله، ومن هنا لم يعد ممكناً تبرير المعرفة الإنسانية بالإلهام الإلهي، ومن هنا احتاج ديكارت إلى البحث عن أساس آخر تستند إليه المعرفة والوصول إلى اليقين.

ويمكن اختصار حاصل الجهود التي بذلها ديكارت في سعيه للبحث عن أساس تبتني عليه المعرفة الإنسانية، وقد رأى مفكرو الغرب وفلاسفته هذا الأساس جديداً صالحاً لبناء الأفكار والنظريات عليه. وهذا ما أدى إلى اعتبار ديكارت أب الفلسفة الحديثة. وجوهر الأساس الديكارتي للفكر يتمثل بعدّه الإنسان ووعيه منطلقاً لسائر الأشياء المحيطة به. وهذا الوعي الإنساني هو المحور الذي تدور حوله جميع الحقائق و المعارف اليقينية حول الأشياء وصفاتها المنسوبة إليها. وهذا ما يستفاد من الكوجيتو الديكارتي القائل: «أنا أفكر إذاً أنا موجود»، فهذا معناه أن حقيقة الذات فضلا عن الأشياء المحيطة بها تستمد من الفكر والوعي الإنساني بها، ومآل هذا التصور تقديم رؤية جديدة إلى الإنسان. ومن هذه الفكرة وما شابه تحول الإنسان الحديث إلى محور تدور حوله الأشياء، والأبرز على هذا الصعيد هو الجانب السلبي أي نفي الأصالة عن كل ما سوى الإنسان.

وبعبارة أخرى سلبت صفحة المحورية عن أي شيء آخر غير الإنسان وخارجه، ومن ذلك الدين والتقاليد والسلطة السياسية، وذلك في مجالي المعرفة والقيم، وصار الفكر

الإنساني والتجارب الراهنة له هي محور المعرفة ومصدر القيمة. وبعبارة الفقهاء لم تتمتع بالحجية أي معرفة تستمد من خارج حدود التجربة الإنسانية، وبدل أن يستمد الإنسان أفكاره وقيمه ومعارفه من النص الديني ومن التراث والتقاليد صار هو نفسه بنسخته الراهنة المصدر والأساس الذي تبنى عليه سائر المعارف والقيم.

وعلى هذا الأساس لم يعد هدف الإنسان وغايته التي يسعى إليها ولا موقعه في الوجود مخططاً له من قبل، بل إن غاية الإنسان وهدفه وتعريفه يستمدان من الذات الإنسانية نفسها وعلى حد تعبير بيتر: يجب أن يكون الإنسان ذاتي التعريف (self defining subject).[٢٦] أو فقل إن الإنسان الديكارتي الجديد يستطيع معرفة نفسه على أكمل وجه دون تدخل من الله أو غيره من الموجودات.[٢٧]

وتابع عدد من الفلاسفة الأوروبيين مسيرة ديكارت، وعلى رأس هؤلاء يمكن الإشارة إلى الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط (١٨٠٤- ١٧٢٤) الذي أكمل الصورة الديكارتية ورفع من قيمة الدور الإنساني في المعرفة، يمكن القول: إن الفلسفة النقدية لكانط فتحت الباب واسعاً في وجه الإنسان ليكون جوهر الأشياء والسر الكامن فيها.[٢٨] وصفوة القول: إن الاتجاه الإنسانوي أعطى للإنسان تعريفاً جديداً؛ بحيث لم تعد قيمة الإنسان مستمدة من جذره الإلهي، صارت قيمته تابعة لقدراته العقلية وقدرته على تنظيم العالم من حوله. وأما غاية الإنسان وهدفه فلم يعودا العبادة والعشق لله ولا للجنة الملكوتية، بل في مدى عملانية البرامج والخطط التي يبتكرها الإنسان اعتماداً على عنصري العقل والخيال اللذين يعملان من أجل هذه الدنيا فحسب. وقد تطورت هذه النزعة إلى أقصى مدياتها على يد الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر، حتى وصلت إلى حدود الدعوة إلى استبدال الإله المتعالي بالإله الإنساني؛ وذلك في تصريح سارتر بأن الفلاسفة الإنسانويين لم ولا يحاولون الانعتاق من العبودية لله والإيمان به بما هو وجود متعال، بل كل ما فعلوه هو أنهم استبدلوا اسماً باسم.[٢٩]

ب- الرؤية المعرفية

تبنى إنسانويو عصر النهضة مواقف خاصة بهم من المعرفة وأدواتها، وتتمثل أبرز عناصر هذه الرؤية المعرفية في الاعتماد على العقل بل الثقة المفرطة فيه على صعيد فهم العالم، وفي الشك في كل شيء والاعتقاد بإمكان إبطال أي عنصر من العناصر المكونة

للمعرفة الإنسانوية. (والعقل بحسب هذه الرؤية هو العقل الحديث الذي تتكون مادته الأولى من الطبيعة وتنحصر بها. وبعبارة أخرى العقل الذي مصدر معارفه وميدان عمله هو عالم المادة والطبيعة، وأما سائر المصادر المرشحة للمعرفة فلا تقدم للإنسان ما يطور معارفه مما يمكن الوثوق به.

وأشد عناصر الرؤية المعرفية الإنسانوية كثافة وغلظة هي الإصرار على عدم إعطاء أحد أو جهة كائنة من كانت حق ادعاء القبض على الحقيقة وامتلاكها؛ أي أن عقل عصر النهضة الشكاك انطلق من مسلمة حاصلها أن كل دعوى معرفية يمكن أن تخضع للاختبار ولا يحق لجهة ادعاء العصمة.[٣٠] وبالتالي كل دعوى تطرح لا بد من اختبارها وتقييمها ودراسة عللها ومناشئها، فإذا تبيّن استنادها إلى غيبي فإن مثل هذه الدعوى تسقط عن درجة الاعتبار.[٣١]

وعلى ضوء هذه الرؤية المعرفية تدّعي الإنسانوية قدرة الإنسان على فهم العالم دون حاجة إلى أي مصدر ديني أو وحياني، وقد ساعد تطور العلوم التجريبية والنجاحات التي أحرزها العلماء في مجال فهم العالم، ساعد ذلك على مزيد من الثقة بالنفس والإحساس بعدم الحاجة إلى النصوص الدينية ولا خشية مخالفتها.[٣٢]

ولا تنفصل المعرفة عن الهدف والغاية التي من أجلها يتم التعرف لتكوين المعرفة، وإذا كانت المعرفة قبل عصر النهضة تراد من أجل اكتشاف أسرار الكون بما هو فعل من أفعال الله، فإن المعرفة في عصر النهضة تراد من أجل هدف آخر مختلف تماماً وهو مساعدة الإنسان على التنبؤ بالمستقبل لمزيد من القدرة على التحكم بالطبيعة والسيطرة عليها، وكل ذلك من أجل تسهيل الحياة والعيش بشكل آمن مطمئن وأكثر راحة، وهذا يعني أن تأخذ المعرفة طابعا آلياً.[٣٣]

ج- الرؤية الأنطولوجية

تنكر الإنسانوية وجود أي شيء خارج نطاق المادة وعالم الطبيعة، كما تنكر بناء هذا العالم على الهدف أو أن أشياء هذا العالم مرتبة كل شيء في مكانه، كما لا تقبل الإنسانوية وجود نقطة افتراق بين عالم الطبيعة وما وراءها يؤدي إلى كون الله هو منشأ الموجودات والقيم. ومن هنا، فإن كل محاولات البحث عن الله والاستدلال على وجوده هي محاولات عبثية لا طائل من ورائها، مهما كانت طبيعة هذه الأدلة والبراهين، فلسفية أم كلامية أم

وفي الحقيقة ليست الرؤية الإنسانوية إلى الأخلاق سوى تفسير لها بالعواطف بالميول والمشاعر؛[٤١] أي أن المرجعية التي ترتكز عليها الأحكام الأخلاقية ليست سوى رغبات الإنسان وميوله، وهذا ما يعبر عنه بنتام بقوله: «الحسن هو ما أرغب فيه، والقبيح هو، أرغب عنه ولا أريده.»[٤٢] والنتيجة التي تنتهي إليها الرؤية الإنسانوية للأخلاق هي النسبية وعدم وجود معيار كامل أو مطلق للأحكام الأخلاقية، فعندما يكون المعيار هو الميول والرغبات التي تتعارض في الضرورة في الواقع المعيش، سوف تتحول الأحكام الأخلاقية إلى أحكام نسبية تختلف باختلاف الرغبات والميول الفردية والاجتماعية.[٤٣]

وبناء على ما تقدم يكون الاعتقاد بوجود قيم وأحكام أخلاقية مطلقة وواحدة اعتقاداً فارغا من أي مضمون، لاستناده إلى الأماني والأحلام الطوباوية ليس إلا. وبعبارة أخرى: إن الاعتقاد بالله (الذي مات في عصر الحداثة) والاعتقاد بالمعاد والاعتقاد بوجود الشر في العالم الذي خلقه الله ما هي إلا نقائض يكذب بعضها بعضاً، وبالتالي لا يمكن أن يُبنى النظام الأخلاقي على مجموعة من النقائض ولو قدمت بصورة نظام متماسك الأطراف. ففي الإنسانوية، الإنسان وحده هو الذي يجترح قيمه وأحكامه الأخلاقية بعيدا عن أي طموحات فارغة لا تستند إلى أساس واقعي متين، الأمر الذي لم تستطع تقديمه الأديان التوحيدية المعروفة.[٤٤]

وتمثل الحرية الشخصية ركنا ركينا بين الأصول التي تجهد الإنسانوية في الدفاع عنها، تنظيرا واستدلالا. والمعنى المقصود للحرية عندهم هو حرية الضمير الديني وحرية عدم التدين في وقت واحد، كما حرية الابتداع والإبداع دون أن يكون لأي جهة الحق في فرض قناعة على أحد أو منع أحد من التعبير عن أفكاره وقناعاته بالشكل الذي يرتأيه ويريده. ويعتقد الإنسانويون بأن بعض فترات التاريخ شهدت رقابة وحبسا للأنفاس والأصوات، ومن باب التعويض يجب الدفاع عن كل ما يمكن أن يعد مخالفة للأديان أو معارضة لها.

ومن الحريات التي يدافع عنها الإنسانويون الحرية الأخلاقية التي هي عنوان تندرج تحته مفاهيم وعناوين عدّة مثل:

الحرية الجنسية بكل المعاني المندرجة تحتها من حرية العلاقة الجنسية إلى حرية التناسل، وحرية الإجهاض، والتحكم بالمواليد وغير ذلك.

وتعطي الإنسانوية أهمية محورية للتعددية والتسامح على جميع المستويات الأخلاقية

والدينيـة وغيرها، ولو في الإطار الفردي بمعنى الحد قدر المستطاع من سلطة المجتمع على الفرد وعدم السماح له بمصادرة حريات الأفراد والتحكم في طريقة عيشهم وسلوكهم، بل إفساح المجال لكل فرد بأن يختار طريقة عيشه وفق ما يريد ويهوى.[٤٥]

مـا تقدم كله كان حـول الإنسانوية بمعنييهـا الاصطلاحيين، ويستعمـل هذا المصطلح أحيانا للدلالة على بعض المذاهب التي ظهرت في تلك الفترة كالماركسية والوجودية، ولكننا نكتفي بالمعنيين المتقدمين ولا ندخل أنفسنا في تفاصيل الحديث عن المذاهب الموسومة بهذه الصفة.

الخاتمـة والاستنتـاج:

وحاصـل الكلام في تحليل مفهـوم الإنسانوية أن هذه الرؤية بعد أن أصرت على نفي كل وجـود خـارج إطار المادة والطبيعة التي يمكـن القبض عليها بالحواس الإنسانية حصرت الوجـود الحقيقـي بالإنسـان وحصرت الوجود الإنسـان بالبدن المـادي، وحولته إلى محور للوجود ومحور للقيم الأخلاقيّة، وسدّت الباب في وجه أي دعوى تأتي من خارج حدود المادة واعتبرت كل دعوى غير مادية خيالاً فارغاً لا معنى له.

الهوامش:

١- أستاذ في الحوزة العلمية وعضو هيئة البحث العلمي في معهد الإمام الخميني العالي.

٢- سورة البقرة: الآية ٢٩.

٣- سورة المؤمنون: الآية ١٤.

٤- نشرت في العدد السابع من مجلة رواق الفكر مقالة حول هذا التناقض، وقد جاء فيها أن عددا الكتاب الغربيين مختلفون حول المحطة التي انطلق منها تيار التحديث، فمنهم من يرى أنه القرن السادس عشر، ومنهم من يرى أنه السابع عشر، وآخرون يتأخرون إلى القرن الثامن عشر.

٥- Humanism

٦- العلوم الإنسانية في هذا المصطلح هي الفلسفة والآداب، والفن:

The American Heritage Dictionary of The English Language. (Pub. DELL Publishing co.. Inc.. New York). 1997. p.345.

7- Webster's New College Late Dictionary. (Pub. Spring Field. Mass.. U.S.A). 1950 p. 402.

8- The American Heritage Dictionary of The English Language. ibid. P. 345.

9- Longman Dictionary of contemporary English. (Great Britain. Longman) 1990. p. 511.

10- BBC English Dictionary. (Harper Collins Publisher. London) 1993. p.574.

11- Tony Davies. Humanism. (London and New York). 1997. p.125 .

١٢- انظر: يحيى مهدوي، شكاكان يوناني، شركت سهامى انتشارات خوارزمى، الطبعة الأولى، ١٣٧٦، ص ص ٢٦- ٢٥.

١٣- انظر: المصدر نفسه، ص١١.

١٤- انظر: المصدر نفسه، ٣٥- ٣١.

١٥- فريدريك كاپلستون، تاريخ فلسفه غرب (يونان و روم)، الترجمة الفارسية: السيد جلال الدين مجتبوي، شركة انتشارات علمى و فرهنگى، الطبعة الثانية، ١٩٩٠، ج ١، ص ١٠٦.

١٦- گمپرتس تئودور، متفكران يونانى، شركت سهامى انتشارات خوارزمى، الطبعة الأولى، ١٣٧٥، ج ١، صص ٤٣٦- ٤٣٠.

17- John. Monfasani. ،Humanism Renaissance،. in Encyclopedia of philosophy. (Routledge. London and New York). 1998. V.4. p. 533.

١٨- انظر: **يعقوب بوركهارت، فرهنگ رنسانس در إيتاليا**، الترجمة الفارسية: محمد حسن لطفى، طرح نو، الطبعة الأولى، ١٣٧٦، يادداشت مترجم، ص ٩.

١٩- انظر: المصدر نفسه، ١١- ١٠.

٢٠- انظر: العهد الجديد، أعمال الرسل، وبخاصة رسائل بولس.

٢١- يعقوب بوركهارت، مصدر سابق، ص ١٢.

22- Lewis W. Spitz. «Humanism». in Encyclopedia of Religion. v.5. (Simon & Schuster Macmillan). 1995. p.577.

23- John. Mofasani. Humanism Renaissance. Op.Cit.

٢٤- **رنه گنون، بحران دنياى متجدد**، الترجمة الفارسية: ضياء الدين دهشيرى، انتشارات أمير كبير، الطبعة الثانية، ١٣٧٢، ص ٩.

25- Susan. Castagnetto. «Rene Descartes». in History of philosophy. (Harper Collins publishers. New York). 1993. p.107.

26- David. west. an introduction to continental philosophy. (1st ed.. polity press). 1996. p. 13.

٢٧- انظر: **دان كيوپيت، درياى إيمان**، الترجمة الفارسية: حسن كامشاد، انتشارات طرح نو، الطبعة الأولى، ١٣٧٦، ص ١٦٢.

٢٨- انظر: المصدر نفسه، ص ١٦٦.

29- Tony. Davies. OP. Cit. p124.

30- Monfasan John. Op. Cit.. pp. 529-530.

31- Kurtz. Paul. Toward a new Enlightenment. (eds. Vern L. Bullough. Tim Madigan). 1994. p.51

32- West. David. Ibid. p.11.

33- Ibid. p.13.

34- Kurtz. Paul. Op. Cit. pp. 50-51

35- Ibid. pp.189-190.

36- Ibid. P.191.

37- Ibid. p.190.

38- Ibid. p. 50.

39- Ibid. p. 190.

40- Ibid. p.51.

41- Sentimentalism

٤٢- آر. بلاستر آنتونی، ليبراليسم غرب: ظهور و سقوط، الترجمة الفارسية: عباس مخبر، نشر مركز، الطبعة الثالثة، ١٣٧٧، ص ٢٠٢.

43- Kurtz. Paul. Ibid. pp. 52-53.

44- Ibid. pp. 53-55.

45- Ibid. Pp. 60. 194-195.